**جمهورية العراق / بغداد / الجامعة المستنصريَّة / كليَّة الآداب**

**قسم اللغة العربيِّة / الأدب الأندلسي / أُستاذ المادة أ.م.د قصي عدنان الحسيني**

**المرحلة الثَّالثة/ مسائي/.....1436ـ1437هـ /2015ــ 2016م**

**النَّثر الفنِّي موضوعاته وخصائصه / القسم الأوَّل**

حين ندرس النَّثر في القرن الخامس للهجرة فإنَّنا نقف أمام نتاج أدبي ضخم ، قد قطعت الأندلس فيه شوطاً كبيراً في ميدان الأدب ، وجابت مساحة الأدب بشطريه شعراً ونثراً ، وأبرز هؤلاء الأعلام الَّذين وصلت آثارهم النَّثرية هم :

ابن زيدون ( ت 436 هــ) ، وابن اللبَّانة ( ت 507 هـ ) ، وابن عبدون ( ت 520 هـ ) ، وابن خاقان ( ت 529 هـ ) ، وابن خفاجة ( ت 533 هـ ) ، وأبو عبد الله ابن أبي الخصال ( ت 540 هـ ) ، وابن بسّام ( ت 542 هـ ) صاحب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، الذي يشير فيما ينقله لنا الكلاعي إلى أشهر الكتّاب في عصره بقوله : " كتّاب العصر ورؤساء الأعيان أربعة : كلاعيان ، وفهريان ، وأما الكلاعيان ، فأبو بكر بن القصير ، وأبو محمد بن عبد الغفور ، وأما الفهريان ، فأبو القاسم بن الجد ، وأبو محمد بن عبدون " .

وقد باهى ابن سعيد في نفح الطّيب ، وهو في مقام المنافرة بين الأندلس والمغرب بجهود الأندلسيين في مجال النَّثر ، فأشار إلى أبي عبد الله بن أبي الخصال وكتابه **سراج الأدب** صنّفه على طريقة **النَّوادر للقالي ، وزهر الآداب** **للحصري** ، ونوّه بأبيه ، وكتاب **أبي عبيد البكري** **اللآلي ،** وهو على منزع **آمالي القالي ،** ونوّه **بجهود ابن السِّيِّد البطليوسي في كتابيه الاقتضاب** ، **وشرح سقط الزند** ، وأشار أخيراً إلى **شروح الأعلم الشمنتري لشعر المتنبي ، والحماسة .**

ونستطيع أنْ نستدل على شيوع هذا الفن وولع الكتّاب به ، وتعلقهم بألوانه المستحسنة من النَّثر المشرقي ما حدّثنا به ابن عبد الغفور الكلاعي ( ت 550 هـ ) في كتابه **أحكام صنعة الكلام** ، وهو أوسع كتاب يمثِّل عصر المرابطين في موضوع النَّثر ، ومؤلفه أديب بارع كان أبوه وجدّه ناثِرَين كبيرين ، وشاعِرَين مُجِيدَين تَرجمت له كتب التَّراجم . وقد أتُّهم بأنَّه لا يعرف كيف يكتب السلطانيات ، وحملت تلك التهمة الكلاعي على تأليف كتاب على مثال **السَّجع السُّلطاني** **لأبي العلاء المعرِّي ، وهو احكام صنعة الكلام .**

**أما ابن أبي الخصال** فقد أُعجب بآثار أبي العلاء ، فعارض لزومياته في **ملقى السَّبيل** ، كذلك فعل **أبو الطَّاهر محمد السَّرقسطي** المعروف **بابن الأشتر وكويني** ( ت 438 هـ ) في مقاماته التي بناها على "لزوم ما لا يلزم" وسمّاها بـ"المقامات اللزوميَّة" ، وهي خمسون مقامة عارض بها **الحريري.**

وتحدّث الكلاعي عن التَّرجيح بين المنظوم والمنثور ، وفضَّل النَّثر على الشِّعر على الرَّغم من أنَّه لم يُنكر فضائل الشِّعر ، لكن سوء استخدامه هو الذي جعله ينظر إليه هذه النَّظرة .

وفكرة تفضيل النَّثر على الشِّعر عند غيره من كتّاب عصر الطَّوائف ، ومنهم : **ابن شُهيد الأندلسي في رسالته التَّوابع والزّوابع** ، إذ قال : إنّهم أولى بالتقديم من الشُّعراء .

ومن الكتب المتخصِّصة في نثر عصر الطَّوائف الَّتي سبقت الكلاعي في أحكامه **كتاب تسهيل السَّبيل إلى تعلم التَّرسيل بتمثيل المماثلات وتصنيف المخاطبات / لأبي عبد الله الحُميدي** ( ت 488 هـ ) ألفه سنة 454 هـ ، وهو أضخم كتاب في نماذج النَّثر الأندلسي لكاتب في عصر الطَّوائف ، وجميع رسائله تدخل في باب الأخوانيات ، فقد وعد أنْ يؤلِّف كتاباً آخر في رسائل السُّلطانيات ، وقد جعل الكتاب في ثمانية أبواب تفاوتت فصولها بحسب موضوعات كل باب كَثرة وِقِلَّة ، وهي على النَّحو الآتي :

1 ـ في مثالات أدعية الأوقات ، وهو في 16 فصلاً .

2 ـ في أمثلة اللقاء ، وتصنيف أهله في الدعاء ، وهو في 10 فصول .

3 ـ في شذور التَّهنئة بأحوال السُّرور ، وهو في 40 فصلاً .

4 ـ فيما يجري مجرى تسلية المحزون ، وهو في 7 فصول .

5 ـ فيما يقال عند إرادة الأفعال ، وهو في 6 فصول .

6 ـ في أسباب الوداد ، ونتائج حسن الاعتقاد ، وهو في 16 فصلاً .

7 ـ في أمثلة أصناف التَّعزية ، وهو في 7 فصول .

8 ـ في مفردات نوادر المخاطبات ، وهو في 7 فصول .

إنَّ الرَّسائل التي صُنفت في عصر الطَّوائف والمرابطين تنوعت موضوعاتها ، فقد تناولت السِّياسة والمجتمع والفرد والجماعة ، فكانت هناك الرَّسائل الدِّينية ، والرَّسائل الاجتماعية ، والرَّسائل الأخويَّة ، والرَّسائل الديوانيِّة ، والرَّسائل الوصفيَّة ، وقد تناولت أنماطاً من النَّثر القصصي والمقامات .

وقد طبعت الرَّسائل في هذا العصر بطابع ديني ، وأن الرَّسائل الدِّينية ليست إلَّا جزءاً من مجمل تلك الرَّسائل ، وذلك أمر طبيعي يتَّسق مع طبيعة الحياة التي كانت تُعنى بتلك القيم ، وان صلة المجتمع كانت قوية بها .

أما **الرَّسائل الأخويَّة الكثيرة**  : فهي تعكس لنا العلاقات بين الأصدقاء والاصحاب من الأدباء في أحوالهم المختلفة ، وتعتمد هذه الرَّسائل على أسلوب الهزل والمداعبة لدفع السأم عن النفس والتَّرويح عنها .

**والرَّسائل الديوانيَّة :** سجَّلت هذه الرَّسائل أحوال السَّياسة ، وطبيعة المشكلات التي تعترضهم ، والأساليب المتَّبعة في معالجة تلك المشكلات وحلِّها .

**والرَّسائل الوصفيَّة :** ثمرة منسجمة مع طبيعة البيئة الأندلسية ، والمجتمع الأندلسي ، وتفاعل الأديب معهما ، إذ عكس لنا صورة متألقة لا تقلّ عن دور الشِّعر في هذا المقام .

وقد عالج **النَّثر القصصي** أموراً خيالية ، وأخرى واقعية عبّرت عن المجتمع الأندلسي في جوانبه المختلفة ، وقد جنحت في أساليبها إلى الفكاهة والسُّخرية .

واستطاعت تلك الرَّسائل أن تعطينا صورة واضحة متكاملة السِّمات عن الشَّخصية الأندلسيَّة التي اختلفت عن قرينتها المشرقية بحكم اختلاف البيئة ، واختلاف عناصر المجتمع الأندلسي ، وطبيعة مشكلاته الاجتماعية والسِّياسية ، ومن هنا فإن النظرة المتأنية تهدينا إلى القول بأنه على الرغم من كون جذور الثقافتين المشرقية والأندلسية واحدة ، فإن النثر الأندلسي شأنه شأن الشعر والفنون الأخرى استطاع أن يكوّن شخصيته من خلال ظروف الجزيرة الأندلسية بعناصرها المختلفة سياسية واجتماعية وثقافية ، وكان النصيب الأكبر يعود إلى تلك البيئة ، ولذلك النسيج المتنوع من عناصر المجتمع .

أما مشكلة الخطابة فهي الضياع أو الانشغال عنها بموضوعات الرسائل ، وربما لأنهم لم يعنوا بتذوق هذا النوع من النثر ؛ لشيوعه فيهم ، ويمكن أن يستفاد من هذا المعنى في تعليل الجاحظ ؛ لضياع كثير من أدب العرب شعره ونثره : " وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ، وكأنه الإلهام ، وليست هناك معاناة ، ولا مكابدة ، ولا إجالة فكر ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف همّه إلى الكلام ، فلم يحفظ إلا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم ، وإن شيئاً من هذا الذي في أيدينا جزء منه بالمقدار الذي لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب ... " .

ومشكلة الخطابة الأخرى أيّاً كان نوعها أنها نصّ ليس للقراءة ، ولهذا أفلتت من سجل التاريخ ملايين الخطب ، ولم يبق منها إلا النزر اليسير لأسباب خاصة .

**ومن خصائص الأساليب النثرية في عصر الطوائف :**

ازدياد ظاهرة المزج بين الشعر والنثر ، مما يستدل معه أن الكتّاب كانوا بعامّة شعراء ، أو أنهم جمعوا رياستي الشعر والنثر على نحو ما يقول أحمد أمين : " وكثير من الأدباء كان يجمع بين النثر والشعر ، وكان عند الأدباء ملكة لطيفة يميزوا بها بين الموضوعات التي تصلح للنثر ، فهم يشعرون حين تهيم عواطفهم ، ويحسّون أنهم في حاجة إلى تعبير وجداني يغذيها ، ويلجؤون إلى النثر عندما يكون الموضوع أميل إلى العقل "